نشيج الحزين

في مقتل أمير المؤمنين

بقلم

عبد الجبّار عبّاس الخطّاط

إشراف

الشيخ عبد الصاحب عودة الهادي

www.haydarya.com

نشيج الحزين
في مقتل أمير المؤمنين

بقلم
عبد الجبار عباس الخطاط
الرفاعي

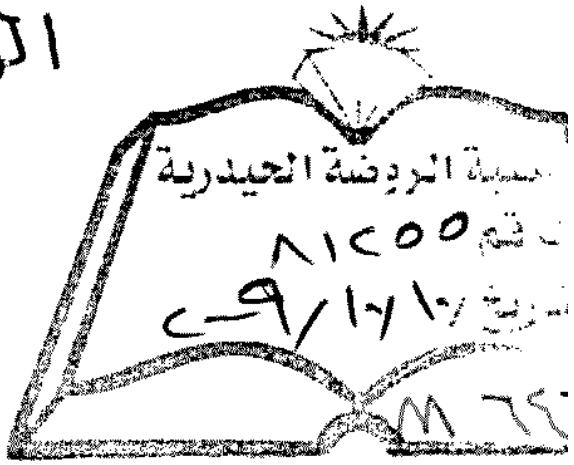

إشراف الشيخ عبد الصاحب عودة

الإهـــداء

الى حجـــة المعبـــود وكلمـــة المحمـــود
الى معـــز الأوليـــاء ومـــذل الأعـــداء
الى النـــور البـــاهر والقمـــر الزاهـــر
الى ربيـــع الأنـــام ونضـــرة الأيـــام
الى يعسـوب الهـداة وسـفينة النجـــاة
الى سـلطان الزمـــان وبقيـــة الرحمـــن
الإمـــــام المنتظـــــر الموعـــــود

أهـــدي هـــذا المجهـــود

طُبِعَ بِإِنْفَاقِ وَرَثَةِ الْمَرْحُومِ

عَبْدِ عَزِيزٍ خَانْ مُحَمَّدٍ

«الْفَاتِحِ»

وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله سياج النعم والصلاة والسلام على النبي وفاء الذمـــم واســتمطار الرحمة على آله الأولياء وأصحابه الأصفياء عرفان الجميل وتذكار الدليل .

جمّعت في صفاتكِ الأضـــدادْ فلهذا عــزّت لك الأنــدادْ
زاهــدٌ حاكمٌ عليمٌ شــجاعٌ ناســكٌ فاتكٌ فقيرٌ جــوادْ
خُلقٌ يُخجلُ النسيمَ من اللطفِ وبأسٌ يذوب منــه الجمــادْ
شِـيَمٌ ما جُمِعْنَ في بشرٍ قَــطّ ولا حــازَ مثلهَــن العبــادْ

قلة أولئك الأفذاذ الذين هم من عيار أمير المؤمنين علي بن أبي طــالب (ع) تنهد الدنيا بهم موزعين على مفارق الأجيال كالمصابيح تمتص حشاشتها لتفنيــها هدياً على مسالك العابرين وهم على قلتهم كــالأعمدة تتفــرج فيمــا بينــها فسحات الهياكل وترسو على كواهلها أثقال المداميــك لتومــض مــن فــوق مشارقها قبب المنائر .

ولعمري فقد كان الإمام علي (ع) شمســاً ســاطعة تكتســح دياجــير الضمائر وكوالح النفوس فينحسر تحت أشــعتها بريقــها الوابــق ، وتكتســب عظمتها من وهجها الدافق ، لتمشي متزنة يحدوها الشــوق العفيــف والأمــل اللطيف والمسعى النظيف .

ولقد كانت حياته (ع) طفرة في الوجود الإنساني أخرجت للناس انموذجــاً فريداً للأريحية والفروسية والفتوة التي تسترعي التوقف والتأمل ملياً لأنها خرقــت بمعجزاتها سنن الحياة ، وراحت ساخرة بمنطق الزمان والمكان ســخرية منقطعــة النظير ، وعاشت في مرايا العقول وخفقات الأرواح ونبضات الأفئدة .

الناسُ صنفانِ موتى في حياتهمُ وآخرونَ ببطنِ الأرض أحياءُ

وهذه وقفة في رحاب أمام المتقين ويعسوب الدين علي بن أبي طـــالب (ع) لنستجلي آفاق قصة استشهاده بطاقة إيحائية عاطفية هائلـــة ، وإلهـــام عقيـــدي عريق على وفق طريقة معربة منسجمة مؤثرة لا تتلاشى فيها الثوابت التأريخيـــة الصحيحة بل تخضع لتيارات شعرية وهاجة تســـهم في تجســـيمها وتكثيفـــها لنترجمها الى أشواق روحية عالية ، وحضارة وسلوك ، ومواقف وقيم تدعـــو الى التناغم والتفاعل والتآلف مع مبادئ الإسلام ، فتعطي لعلاقتنا بآل البيـــت(ع) معنى الحياة والجمال ، وتكون وسيلة لإحياء التشريع ودليلاً على يقظة الضمـــائر ونبل الأحاسيس وطهارة النفوس وورع التفكير .

وفي نهاية المطاف إن هذا المقتل جاء بإسلوب جديد وطراز عتيد مشـــفوع بحسية شعرية غارقة في الشجن وبشكل ملحمي يضفي عليـــها نزعـــة عاطفيـــة عارمة ليبقى نابضاً في القلوب .

ولقد أكد فضيلة الخطيب المصقع الشيخ عبـــد الصـــاحب الهـــادي هـــذه المقتربات الجديدة ورأى أنها تشكل الوعاء التنظيمي لفـــن الخطابـــة المتـــاوزن مع الموروث .

وحسبنا أن ينال الرضا والقبول ومن الله التوفيـــق ومنـــه نســـتمد العـــون والسداد وعليه التكلان .

أيهـــا القـــارئ في مقتلِنـــا إنْ تجدْ نقصاً فأبدلْه كمالا

أو ترى عيباً فأصلحْ ما ترى إنما العصمـــةُ لله تعالـــى

خادم الكتاب والعترة

عبد الجبار عباس الخطاط

٣ / شعبان / ١٤٢٣

لَبِسَ الإسلامُ أبرادَ السوادِ ... يومَ أردى المرتضى سيفُ المرادي

ليلةٌ ما أصبحت إلا وقد ... غلبَ الغيُّ على أمرِ الرشادِ

والصلاحُ انخفضتْ أعلامُه ... وغدت تُرفَعُ أعلامُ الفسادِ

ما رعى الغادرُ شهرَ اللهِ في ... حجةِ اللهِ على كلِّ العبادِ

وببيتِ اللهِ قد جدّله ... ساجداً ينشِجُ من خوفِ المعادِ

يا ليالٍ أنزلَ اللهُ بها ... سورَ الذكرِ على أكرمِ هادي

مُحيتْ فيكِ على رُغمِ العلى ... آيةٌ في فضلِها الذكرُ ينادي

قتلوه وهو في محرابه ... طاويَ الأحشاءِ عن ماءٍ وزادِ

سلّ بعينيهِ الدجى هل جفتّا ... عن بكاً أو ذاقتا طعمَ الرُّقادِ

وسلِ الأنجمَ هل أبصرْنَه ... ليلةً مضطجعاً فوقَ الوسادِ

وسلِ الصبحَ أهَلْ صادفَه ... ملَّ من نَوحٍ مذيبٍ للجمادِ

عاقرُ الناقةِ معْ شِقوته ... ليسَ بالأشقى من الرجسِ المرادي

فلقد عمّمَ بالسيفِ فتىً ... عَمَّ خلقَ اللهِ طُراً بالأيادي

فبكته الأنسُ والجنُ معاً ... وطيور الجوِّ معْ وحشِ البوادي

وبكاه الملأُ الأعلى دماً ... وغدا جبريلُ بالويلِ ينادي

هُدمتْ واللهِ أركانُ الهدى ... حيث لا مِنْ منذرٍ فينا وهادي

السيد

جعفر الحلي (رحمه الله)

نوح يـــا نـــاعي اودمعتـــك ســـيلهه اوصيح طاح اليث حـــامي ادخيلهـــه

طـــاح والدنيـــه الفكـــده مظلمـــــه واهـــل بيتـــه تهـــل دمعتـــهم دمـــه
والأمـــلاك اتنـــوح لجلـــه بالســـــمه اتبـــدل بنـــوح اوبجـــي تهليلهـــــه

اتبـــدل التـــهليل منهـــه بـــــالعويل لجل ابو الحســـــنين حمـــاي الدخيـــل
ويل كلبي من وكـــــع دمـــه يســـيل فيـــض المحـــراب واشـــبه ســـــيلهه

فيـــض المحـــراب دمـــه اوهامتـــــه غـــدت نصـــين اوتخنـــت شـــــيبته
اوضجت الاملاك كلهـــــه الوكعتـــه اوصاح واعـــول بالســـمه جبريلهـــه

صاح طاح الديـــــن ركنـــه وانهـــدم راس ابو الحســـــنين نصـــين انجســـم
من سمع صوته الحسن دمعه انســـــجم صـــرخ وام جلثـــوم زاد اعويلهـــــه

سمعـــت هضـــل ويلـــي اوجليبـــــه ظلـــت عليـــه زينـــــب ابريبـــــه
أولـــن جايبينـــه اشـــلون جيبـــــه مطبـــــور والهامـــــه خضيبـــــه
صـــاحت يبويـــه اشـــهل مصيبـــــه راح الأبـــــو ومنيـــــن أجيبـــــه

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبَ رسولُ اللهِ (ص) في آخرِ جمعةٍ من شهرِ شعبانَ وذكرَ ما يتعلقُ بشهرِ رمضانَ ، فقام عليٌّ (ع) وقالَ : ما أفضلَ الأعمالِ في هذا الشهرِ يا رسولَ الله ؟

فقال (ص) : الورعُ عن محارمِ اللهِ ، ثم بكى .

فقال عليٌّ (ع) : ما يُبكِيكَ يا رسولَ الله ؟ .

فقال (ص) : أبكي لما يُستَحلُّ منك في هذا الشهر ، كأني بك وأنت في محرابِك ، إذ انبعثَ إليك أشقى الخلقِ من الأولينَ والآخرينَ شقيقُ عاقرِ ناقةِ ثمودَ ، فيضربكَ ضربةً على قَرنِك ، ويُخضّبُ لحيتَك من دمِ رأسِك .

فقال (ع) : وذلك في سلامةٍ من ديني ؟ .

فقال (ص) : نعمْ يا عليُّ في سلامةٍ من دينِك .

وكان الإمامُ عليٌّ (ع) كثيراً ما يُخبِرُ الناسَ عن شهادتِه ، واختضابِ لحيتِهِ الكريمةِ بدمِ رأسِه . وحينما أتاه عبدُ الرحمنِ بنُ مُلْجَمٍ ليبايعَه نظرَ إليه ملياً ، واستحْلفَه مِراراً ، وأخذ عليه العهودَ والمواثيقَ أن لا يغدرَ ولا ينكثَ ، ففعل .

فقال ابنُ مُلْجَمٍ : يا أميرَ المؤمنين ما رأيتُك فعلتَ هذا بأحدٍ غيري ، فتمثلَ الأمامُ (ع) بهذا البيتِ :

أُريـــدُ حياتَـــه ويُريـــد قتلي عَذيرُك من خليلِك من مرادِ

ثم قال (ع) له : أمضِ فوالله ما أراكَ تفي بما قلت .

وكان (ع) يُكرِمُه ويَصِلُه ويُحسنُ إليه إلا أنّ اللعينَ نكثَ البيعةَ وغَدر ، ونقضَ العهدَ وفجر ، فقد تعاقدَ في مكةَ مع البُركِ بنِ عبـــدِ اللهِ التميمي ، وعمرو بنِ بُكيرِ العنبري على قتلِ أميرِ المؤمنـينَ (ع)، ومعاويةَ ، وعمرو بنِ العاص ، وتحالفوا على الوفاءِ بينهم ، وحـــددوا الليلةَ التاسعةَ عشرةَ من شهرِ رمضانَ موعداً لتنفيذِ مؤامرتِهم .

فقصدَ البَرَكُ مصراً ليقتلَ ابنَ العاص ، لكنَّ ابنَ العاص استخلفَ على الصلاةِ تلكَ الليلةَ خارجةَ بنَ أبي حبيبةَ العامري ، فضربَه البُركُ ظناً منه أنه ابنُ العاص فقتله .

فليتها إذ فدت عمرواً بخارجةٍ فدت علياً بما شاءت من البشرِ

وأما العنبريّ فقد توجَه نحوَ الشامِ قاصداً معاويةَ ، فضربه علـــى إليتِه ، وجِيءَ بالطبيب ، فلما نظرَ الضربةَ قال لمعاويةَ : إنَّ الســـيفَ مسمومٌ فاختَرْ أمّا الكيّ بحديدةٍ محماةٍ فتبرأ ، وإما أنْ أســـقيَك دواءً فتبرأ ولكنْ ينقطعُ نسلُك ؟

فقال معاويةُ : أما النارُ فلا أُطيقها ، وأما النسلُ ففي يزيدَ ما يقرُّ عيني ، فسُقيَ الدواءَ وعولجَ فبرئ .

أما اللعينُ ابنُ مُلْجَم فقد قصدَ الكوفةَ فلقـــي بهـــا أصحابَـــه ، وكتمهم أمرَه ، وطوى سرَه ، وكانت بينه وبين قطام بنتِ الأخضـــرِ

التيميةِ علاقةُ حبٍّ وغرامٍ ، وكانت فاتنةَ الجمالِ ، وقد خرج أبوها وأخوها على أميرِ المؤمنينَ (ع) فقتلهما في النهروان ، فامتلأ قلبُها غيظاً وعِداءً لأميرِ المؤمنين (ع) ، فخطبَها ابنُ مُلْجَمٍ ، فاشترطت عليه ثلاثةَ آلافِ درهمٍ وعبداً وقَينةً وقتلَ عليٍّ (ع) ، فوافقها على ذلك .

فلم أرَ مهراً ساقَه ذو سماحةٍ ... كمهرِ قطامٍ من فصيحٍ وأعجمِ
ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وقينةٌ ... وضربُ عليٍ بالحسامِ المسمّمِ
فلا مهرَ أغلى من عليٍّ وإن غلا ... ولا فتكَ إلا دونَ فتكِ ابنِ مُلْجَمِ

قال الراوي : واتفقَ معَ شبيبِ بنِ بجرةَ ، ووردانِ بنِ مجالد على معاونتهِ في قتلِ الإمامِ (ع) ، فلما كانت ليلةُ الجمعةِ لتسعَ عشرةَ خلت من شهرِ رمضانَ سنةَ أربعينَ للهجرة ، أتوا الى قطامٍ وأطلعوها الأمرَ فدعت لهم بحريرٍ وعصّبت به صدورَهم ، وتقلدوا سيوفَهم ومضوا الى المسجدِ تلكَ الليلةَ ، وباتوا ينتظرون طلوعَ الفجرِ ، ومجيءَ الإمامِ للصلاة .

ذكر أربابُ التاريخ : إنَّ أميرَ المؤمنين (ع) كان قد بلغ من العمرِ ثلاثةً وستينَ عاماً ، وفي شهرِ رمضانَ من تلك السنةِ كان يفطرُ يوماً عند الحسنِ (ع) ، ويوماً عند الحسينِ (ع) ، ويوماً عند ابنتهِ زينبَ الكبرى المكناةِ بأمِّ كلثوم زوجةِ عبدِ الله بن جعفرَ (ع) .

وفي الليلةِ التاسعةَ عشرةَ كان الإمامُ (ع) في دارِ ابنتهِ زينبَ فقدمت له فطورَه في طبقٍ فيه قُرصانِ من خبزِ الشعيرِ ، وقَصْعةٍ فيها لبنٌ وملحٌ جَريش ، فلما نظرَ إليه وتأمله حركَ رأسَه وبكى وقال : يا بنيه أتقدمينَ الى أبيكِ أدامينِ في طبقٍ واحد ، أتريدينَ أنْ يطولَ وقوفي غداً بين يدي الله عزَ وجلّ ، أرفعي أحدَهما ، فإنَّ مَنْ طابَ مطعمُه ومشربُه طالَ وقوفُه بين يديِ اللهِ يومَ القيامة .

ثم أكلَ قليلاً وحمِدَ اللهَ وأثنى عليه وقامَ الى الصلاةِ ولم يزلْ راكعاً وساجداً ومبتهلاً ومتضرعاً الى اللهِ سبحانه وتعالى ، وصار كلما فَرِغَ من صلاتهِ يُكثرُ الدخولَ والخروجَ وهوينظرُ الى السماء ، وقرأ سورةَ يس حتى ختمَها ، ثم رقدَ هُنيئةً وانتبه مرعوباً ، ونهضَ قائماً على قدميه وهو يقول : اللهم بارك لنا في لقائك .

وصارَ يُكثرُ من قولِ لاحولَ ولاقوةَ إلا باللهِ العليّ العظيم ، ثم أخذ في الصلاةِ حتى ذهبَ بعضُ الليل ، ونامت عيناهُ وجلسَ للتعقيبِ ، ثم انتبه من نومتهِ مرعوباً ، فجمعَ أولادَه وأهلَه وقال : قَلَّ ما أصحبُكم ، ففي هذا الشهرِ تفقدونني .

قالت أمُّ كلثومَ (ع) لما سمعت ذلك من أبي قلت له :

كيف ذلك يا أبتاه ؟

فقال (ع) : رأيت نبيَّ اللهِ (ص) في منامي وهو يمسحُ الغبارَ عن وجهي ويقول : يا عليُّ لا عليكَ فقد قضيتَ ما عليك .

فلما سمعوا كلامَهَ ضجوا بالبكاءِ والنحيبِ والعويـــل ، فأقســـم عليهم بالسكوت فسكتوا ، ثم أقبل عليهم يوصيهم ويأمرهمُ بالخـــير وينهاهم عن الشر .

ثم قام الى صلاتهِ ، ولم يزل تلكَ الليلةَ قائماً وقـــاعداً وراكعـــاً وساجداً ، وكلما فرِغَ من صلاتِهِ يخرجَ ويقلِّبُ طَرْفَـــه في الســـماءِ وينظرُ في الكواكبِ وهو يقول : واللهِ ما كُذِبتُ ولا كَذِبـــت وإنهـــا الليلةُ التي وُعِدتُ بها ، ثم يعود الى مصلاهُ ويقول : اللهم بـلوكْ لي في الموت ، ويُكثرُ من قولِ إنا للهِ وإنا إليه راجعون .

قالت أمُّ كلثوم : فلما رأيتُ أبي قلقاً متململاً في تلكَ الليلةِ كثيرَ الذكرِ والصلاةِ والاستغفار أَرّقْتَ معه ليلتي وقلتُ : يا أبتـــاه مـــالي أراك هذه الليلةَ لا تذوقُ طعمَ الرّقاد ؟

قال (ع) : يابنية إنَّ أباكِ قتلَ الأبطالَ وخاضَ الأهوالَ ومـــا دخل في قلبَه رعبٌ كهذهِ الليلةِ .

فقلت : يا أبتـــاه مالكَ تنعى نفسَك ؟ .

قال (ع) : يا بنية قد قَرُبَ الأجلُ وانقطعَ الأمل .

فبكت أم كلثوم .

فقال لها : لا تبكَيْ يا بنية فإني لم أقلّ ذلـــكَ إلا بمـــا عَـــهِد إلي النبي (ص) .

فلما لاحَ وقتُ الفجرِ أتيتُه بإناء فيه ماءٌ فأسبغَ الوضوء ، ولبسَ ثيابَه ، وفتحَ البابَ ونزلَ الى الدارِ ، وكان في الدار راوزٌ قد أهديَ الى أخيَ الحسينِ (ع) ، فلما رأينَهُ خرجنَ وراءَه ورفرفنَ وصحنَ في وجهِه .

فقال (ع) : لا إلهَ إلا اللهُ صوائحُ تتبعها نوائح ، وفي غداةِ غدٍ يظهرُ القضاء .

فقلت : يا أبتاه أهكذا تتطير ؟

فقال : يا بنية ما منا أهلَ البيتِ مَنْ يتطير ، ولكنْ قولٌ جرى على لساني .

فلما وصلَ (ع) الى البابِ ليفتحَه انحلَّ مئزرُه حتى سقطَ فأخذَه وشدَّهُ شَداً وثيقاً وهو يقول :

أشْدُدْ حيازيمَك للموتِ فإنَّ الموتَ لاقيكا
ولا تجزعْ من الموتِ إذا حلَّ بناديكا
كما أضحككَ الدهرُ كذاك الدهرُ يبكيكا

ثم قال (ع) : اللهمَّ باركْ لي في لقائِكِ ، اللهم باركْ لي في الموت .

قالت أم كلثوم : كنت أمشي خلفَ أبي فلما سمعتُ ذلك منه قلت وا غوثاه يا أبتاه ، مالي أراكَ يا قرةَ عيني تنعى نفسَك منذُ الليلةِ ؟ وأخذتُ في البكاءِ ، فوقف عندي وجعلَ يعزّيني على نفسِه

وهو يبكي ويقولُ : يا بنية ما هو بنُعاءٍ ولكنها دلالاتٌ وعلاماتٌ للموت يَتْبعُ بعضُها بعضاً ، فأمسكَ عن الجوابِ ، ثم فتحَ الباب وخرج .

احتزم للمسجد وكَبل الفجر كام بوجهه الطير صاح اورفرف اوحام
يفك الباب راد انحل الحزام شده اوصاح بويه كَرّب البين

حنت يم أبوهه ابكَلب مجروح وظنهه انكَطع منه اوذابت الروح
كَامت تنتحب والدمع مسفوح صبرهُ اوطلع مهموم ابو احسين

قالت أم كلثوم : فأَعلمتُ أخويَّ الحسنَ والحسينَ (ع) وأخبرتُهما بما كان من أمرِ أبي ، فأدركاهُ قبل أن يدخلَ الجامعَ .

فقال له الحسنُ (ع) : يا أبتاه ما أخرجَكَ في هذه الساعة ؟

فقال (ع) : يا بني لرؤياً رأيتها في هذه الليلةِ ، رأيتُ كأنَّ جبرئيلَ (ع) قد نزلَ من السماءِ على جبلِ أبي قبيسٍ فتناولَ منه حجرينِ ومضى بهما الى الكعبةِ وضربَ أحدَهما بالآخرِ ، فصارا كالرميم ، ثم ذرّاهما في الريحِ فما بقي بمكةَ ولا بالمدينةِ بيتٌ إلا ودخلهَ من ذلك الرماد .

فقال الحسن (ع) : يا أبتِ وما تؤيلها ؟

فقال (ع) : إنْ صَدقت رؤيايَ فإنّ أباك مقتولٌ ، ولا يبقى بمكةَ ولا بالمدينةِ بيتٌ إلا ويدخله من ذلك غمٌّ ومُصيبةٌ من أجلي .

فقال الحسنُ (ع) : ومتى يكون ذلك يا أبتاه ؟

فقال (ع) : يا بني إنّ الله تعالى يقول : « وما تدري نفسٌ ماذا تكسِبُ غداً وما تدري نفسٌ بأيّ أرضٍ تموت » .

قال الحسنُ (ع) : فأردْنا أن نَصحَبه الى مصلاهُ فأبىٰ وقال : بحقي عليكما إلا ما رجعتما الى منزلكما .

قال : فأتينا البيتَ وإذا بأختنا أمّ كلثومَ واقفةً خلفَ البابِ تنتظر فجلسنَا معها نبكي .

وسارَ أميرُ المؤمنينَ (ع) حتى دخلَ المسجد ، والقناديلُ قد خَمَدَ ضوؤُها ، فصلى وِرْدَه ثم علا المئذنةَ وأذّنَ للصلاةِ ونزلَ وهو يسبّح اللهَ ويقدسُه ويكبّرُه ويُكثرُ من الصلاةِ على النبيّ (ص) ويمرُّ على النائمينَ وهو يقولُ للنائمِ : الصلاةَ يرحمُك اللهُ ، قُمْ الى الصلاةِ المكتوبةِ عليك ، ويتلو « إنَّ الصلاةَ تنهى عن الفحشاءِ والمنكر » حتى إذا وصلَ (ع) الى عبدِ الرحمنِ بنِ مُلْجَمِ المرادي ، فرآه نائماً على وجههِ قال له : قمْ يا هذا من نومِك ، لقد هممتَ بشيءٍ تكاد السماواتُ يتفطّرْنَ منه ، وتنشقُ الأرضُ وتخرُّ الجبالُ هداً ، ولو شئتَ لأنبأتُك بما تحتَ ثيابِك .

ثم تركَه وتوجهَ الى محرابهِ ، وقام يصلي ، وكان يُطيل ركوعَه وسجودَه ، فأقبل ابنُ مُلْجَم ووقف بإزاءِ الأسطوانةِ التي كان

الإمام (ع) يصلي عندها ، فأمهلَهَ حتى صلّىَ الركعةَ الأولى ، وركعَ وسجدَ السجدةَ الأولى ورفعَ رأسَه من السجود ، عند ذلك أخرجَ ابنُ مُلْجَم سيفَه وضرب أميرَ المؤمنينَ (ع) على رأسِه الشريفِ فوقعتِ الضربةُ على مكانِ الضربةِ التي ضربه عمرو بنُ عبدِ وُد العامري ، فنزل السيفُ الى مفرقِ رأسِهِ المقدسِ والى موضعِ السجودِ ، فصاح الإمامُ (ع) : بسمِ اللهِ وباللهِ ، وعلى ملةِ رسولِ اللهِ ، فُزْتَ وربِّ الكعبةِ ، قتلني ابنُ ملْجَمٍ ، قتلني اللعينُ ابنُ اليهوديةِ ، أيها الناسُ لا يفوتَنكمُ ابنُ ملجم .

قال الراوي : وأحاطَ الناسُ بأميرِ المؤمنينَ (ع) وهو يشدُّ رأسَه بمئزرِه ، والدمُ يجري على وجهِهِ ولحيتِهِ وهو يقول : هذا ما وعدَ اللهُ ورسولُهُ ، وصدقَ اللهُ ورسولُه ، واصطفقتْ أبوابُ الجامعِ وضجتِ الملائكةُ في السماءِ ، وهبّت ريحٌ سوداءُ مظلمةٌ ، ونادى جبرئيل بين السماءِ والأرض : تهدمت واللهِ أركانُ الهدى ، وانطمست واللهِ أعلامُ التقى ، وانفصمتْ واللهِ العروة الوثقى ، قُتِلَ ابنُ عمِّ المصطفى قُتِلَ الوصيُّ المجتبى ، قُتِلَ عليٌّ المرتضى ، قُتِلَ واللهِ سيدُ الأوصياء ، قتله أشقى الأشقياء .

طاح اشلون طيحه اتنحل الحيل اوحين الوكع كَبّر صايح ابليل
ماج العرش بهله اوصاح جبريل يهل الوادم تراه اهدم الدين

يخواض المنايــه من وصــل يمــك وانته الموت يرجف لو سمع بسمك
اشلون السيف خضب سيفك بدمك اومن باسك يروط السيف بكرابه

يامن بيــوم الكــون فتــاك اوتشهد بزودك يا علي اعداك
اشلون ابن ملجم كَدر يدناك بالســيف واتخضبت بدمــاك
اوكَام الملك جبريل ينعــاك اوتتصــارخ الفكَدك يتامــاك
للعمر شــلهه اخلاف عيناك كلهــه تــود الموت ويــاك

فلما سمعت أمّ كلثوم لطمت وجهَها وشقت جيَبها ، وصــاحت واعلياه .. وامحمداه .. وا سيداه .

وكأني بها نادت :

أنه مناطره والكلب مهمــوم ولن المنادي ايصيح بجلثــوم
أبوج انطبر والسيف مسموم صوابه كلف ما يكَدر ايكوم

وخرج الحسنانِ (ع) .. فإذا الناسُ ينوحون وينادون :

وا إمامــــاه .. واعليــــاه .

فلما سمعا ذلك ناديــا : وا أبتــــاه .. واعليــــاه .. ليتَ الموتَ أعدمنــا الحيــاة .

فلما وصلا الى الجامعِ ودخلا ، وجدا أبا جعُــدةَ بــنَ هبــيرةَ المخزومي ابنَ أختِ أميرِ المؤمنين (ع) ومعه جماعةٌ من الناس وهــم يجتهدون أنْ يُقيموا الأمامَ (ع) في المحرابِ ليصليَ بالناسِ فلم يُطِــقّ

النهوضَ ، فتقدمَ الحسنُ (ع) وصلى بالناسِ وأميرُ المؤمنينَ يصلي إيماءً من جلوسٍ وهو يمسحُ الدمَ عن وجههِ .

فلما فَرِغَ الحسنُ (ع) جاءَ الى أبيهِ وهو يقول : وا أبتاه .. يعزُّ واللهِ عليَّ أن أراك هكذا ، ففتحَ أميرُ المؤمنينَ (ع) عينيه وقال : يا بني لا تجزعْ على أبيكَ .. هذا جدُّك محمدٌ المصطفى ، وجدتُك خديجةُ الكبرى ، وأمُّك فاطمةُ الزهراء ، والحورُ العينُ محدِقونَ منتظرونَ قدومَ أبيكَ ، فطِبْ نفساً وقرّ عيناً وكُفَّ عن البكاء ، فإنَّ الملائكةَ قد ارتفعت أصواتُهم الى السماءِ ، يا بني أتجزعُ على أبيكِ وغداً تقتلُ بعدي مظلوماً مسموماً ، ويُقتَلُ أخوك بالسيف ، وتلحقاني بجدّكما وأبيكما .

فقال الحسنُ (ع) : من فعلَ بك هذا ؟

قال (ع) : قتلني ابنُ اليهوديةِ عبدُ الرحمن بنُ مُلْجَمِ المرادي ، وسيَطلُع عليكم من هذا الباب ، وأشارَ بيدهِ الشريفةِ الى بابِ كندة .

ولم يزلِ السُّمُّ يسري في رأسهِ وبدنهِ حتى أُغمي عليه ساعةً ، وقد اشتغلَ الناسُ بالنظرِ الى بابِ كِندةَ ينتظرون قدومَ اللعين ، وقد غُصَّ المسجدُ بالناس ما بينَ باكٍ ومحزون ، فما كانَ إلا ساعةٌ وإذا بالصيحةِ قد ارتفعت وجاءوا بعدوِّ اللهِ مكتوفاً ، هذا يلعنه وهذا يضربُه ، ويقولون له : يا عدوَّ الله ما فعلت ، أَهلكْتَ أمةَ محمدٍ وقتلتَ خيرَ الناس .

فلما نظرَ إليه الحسنُ (ع) قال له : ويلكَ يا عـــدوَّ اللهِ أنـــت قاتلُ أميرِ المؤمنينَ ، هذا جزاؤه منك حيث آواك ، وقرّبك وأدنـاك ، يا شقيَ الأشقياء ؟

فقال ابنُ مُلْجَمٍ : يا أبا محمدٍ أفأنتَ تُنقِذُ مَنْ في النار ؟

ثم انكبَّ الحسن (ع) على أبيهِ يقبله وهو يقول : يا أبتاه هـــذا عدوُّ اللهِ ابنُ ملجم قد أمكنَ اللهُ منه ، وقد حضرَ بين يديك .

ففتح أميرُ المؤمنينَ (ع) عينيه ، ونظرَ إليه وهـــو مكتـــوفٌ ، وسيفُه معلّقٌ في عنقه ، فقال له بضَعفٍ وانكسارِ صـــوتٍ ، ورأفـــةٍ ورحمةٍ : يا هذا لقد ارتكبتَ أمراً عظيماً ، وخَطباً جســـيماً ، أبَئِـــسَ الإمامُ كنتُ لك حتى جازيتني بهذا الجزاء ؟ ألم أكن شفيقاً عليـــك ، ومحسناً إليك ، فقتلتني يا شقيَ الأشقياء ؟ .

فدمعت عينا ابنِ ملجم وقال : يا أميرَ المؤمنين أفأنتَ تُنقِذُ مَـــنْ في النار ؟

فقال (ع) : صدقت .

ثم التفتَ (ع) الى ولدِهِ الحسنِ وقال له : إرفـــقْ يـــا ولـــدي بأسيرِكَ ، وارْحَمْهُ وأَحْسِنْ إليه ، ألا ترى عينيه قد طارتا في أمّ رأسـهِ ، فنحنُ أهلَ البيت لا نزدادُ على المذنبِ إلينا إلا كرماً وعفوا ، بحقـــي عليك أطعمه مما تأكل ، واسقِهِ مما تشرب ، ولا تُقيّدْ له قدمـــاً ، ولا تَغلّ له يداً ، فإن متُّ فاقتص منه ، ولا تمثّلْ بالرجلِ ، فـــإني سمعـــت

جدّك رسولَ اللهِ (ص) يقول : إياكم والمثلةَ ولو بالكلبِ العقــور ، وإن عِشتُ فأنا أعلم بما أفعل به .

قال محمدُ بنُ الحنفيةِ (ع) : ثم إن أبي (ع) قال احملــوني الى موضع مِصلاي في منزلي ، فحملناه والناسُ حوله قد أشــرفوا علــى الهلاك من شدةِ البكاءِ والنحيب .

صدلهم ابعينــه اويحــن كلبــه يلوج اويون من شدة الضربــه
امسحوا الدم عله اعيوني مصبه بهون أورفج شــيلوني يطيبيــن

شالوه ابرفج والمسجد اظلــم عليه واعيونهم تجري الدمع دم
اجوا للباب لن زينب وجلثــم صاحن يــوم شــافنهم مجبلين

ونــت وصاحت يامجبلين هل شايلينه اوياكم امنين
أسمع هضل واصياح صوبين خاف انجتل عودي يطيبين
لمن سمعهه الحسن واحسين كَلهه يزينب زيدي الونين
ابوج انطبر والراس نصين

والتفت إليه ولدُه الحسينُ (ع) وهو يبكي ويقول : يا أبتــــاه مَن لنا بعدك ؟ لا كيومِك إلا يومٌ رسول الله (ص) .

فقال (ع) : يا حسينُ يا أبا عبد الله ادنو مني ، فدنا منه وقــد قَرِحَت أجفانُ عينيهِ من البكاء ، فمسحَ الدموعَ من عينيه ، ووضــعَ يدَه على قلبِه ، وقال له : يا بني ربَطَ اللهُ قلبكَ بالصبر ، وأجزلَ لــك ولإخوتِك عظيمَ الأجر .

ثم أُدخِل (ع) الى حُجرتهِ وأُجلِس في محرابهِ ، فأقبلت زينـــبُ وأمّ كلثوم (ع) وجلستا على فراشِه تندبانِه وتقولان : يا أبتــاه .. من للصغيرِ حتى يَكبرُ ، ومَنْ للكبير بين الملأ ، يا أبتـــاه حزنُنا عليـك طويل ، وعبرتُنا لا ترقـأ.

وكأني بالحوراء نادت :

علينـــه يبويه مجبـــل العيـــد	والفراكْ إجانه ليك يلحيد
أعـــلل إعيالك بالمواعيـــــد	واكلهم ذخرنه بلبجن ايعيد
صوابك شدخ بويه يصنديـــد	يهلال عزنه اويومك ابعيد

فضج الناسُ من وراء الحجرة بالبكاء والنحيب ، وفاضت دموعُ أميرِ المؤمنين (ع) ، وجعلَ يقلّب طَرْفَـه وينظر الى أهـــلِ بيتِـه ، ويقبّل ولديه الحسنَ والحسين (ع) .

قال الراوي : وكانت قطامُ جالسةً على روشنٍ لهـــا فســمعت ضجيجَ الناس وقائلاً يقول قُتِل أميرُ المؤمنين ، فصفقت كفيها فرحـًا وسرورا فسقط عليها الروشنُ فما وجدوها إلا كالرغيفِ المحترق .

وجاءوا باللعين ابنِ ملجم موثوقاً فأقبلت نحوه فضةُ – أَمَةُ فاطمةَ الزهراءِ – وبيدها حربةٌ وقالت : ذروني أضربُ عـــدوَّ اللهِ فأشـفي بعضَ جوى صدري فقد أحرقَ فؤادي وأقلقَ رُقادي وهيّـجَ حـــزني وأوهى ركني وأجرى دمعي وهَتك سِتري واجتث أصلي وفخـــري ، وانقضت عليه كالشهاب .

فقال لها الحسن (ع) : أصبري يا أمةَ اللهِ ، وردَّها الى الدار .

قال محمدُ بنُ الحنفيه (ع) : بتنا ليلةَ عشرينَ من شهر رمضانَ مع أبي وقد نزلَ السُّمُّ الى قدميه ، وكان يصلي تلك الليلةَ من جلوس ، ولم يزل يوصينا بوصاياه ويعزينا عن نفسِه ويخبرنا بأمره الى حينِ طلوعِ الفجر ، فلما أصبح استأذنَ الناسُ عليه فأذنِ لهم بالدخول فدخلوا وأقبلوا يسلمون عليه وهو يرد عليهم السلام .

ثم قال : أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني وخففوا سؤالكم لمصيبةِ إمامِكم .

فبكى الناسُ عند ذلك بكاء شديداً ، وأشفقوا أن يسألوه تخفيفاً عنه ، فقام حِجرُ بنُ عَدِيّ الطائي (رضوان الله عليه) وأنشد أبياتاً قال فيها :

فوا أسفي على المولى التقي أبي الأطهار حيدرةِ الزكي

فلما سمعَ أميرُ المؤمنينَ (ع) شعرَه قال له : كيفَ بك إذا دُعِيت الى البراءةِ مني فما عساك أن تقول ؟

فقال حِجْرٌ : واللهِ يا أميرَ المؤمنين لو قُطعتَ بالسيف إرْباً إرْباً وأُضرم لي النارُ وألقيت فيها لآثرتُ ذلك على البراءةِ منك .

فقال (ع) : وُفِّقتَ لكلِّ خيرٍ يا حِجر ، وجزاك اللهُ عن أهلِ بيتِ نبيِّك خيرا .

وكان (ع) يغمى عليه ساعةً بعد ساعة ، فناوله الحسنُ (ع) قدحاً من اللبنِ وشربَ منه قليلاً ثم نحّاه عن فمه وقال : احملوه الى أسيركم .

هذا والأشرافُ من أهلِ الكوفةِ ، ووجوهُ القبائل ، وشرطةُ الخميس محدقونَ به (ع) ، وكان أولادُه يتململون تململَ السليم ، فما تنفسَ أحدٌ منهم إلا وتكادُ شظايا قلبهِ تخرج مع نَفَسِه ، وكلٌّ ساكتٌ لا يتكلم رأفةً بأميرِ المؤمنين (ع) .

ثم جُمِعَ له أطباءُ الكوفةِ فلم يكن أحدٌ منهم أعلمَ بجرحهِ من أُثَيرٍ بن عمرو بن هانيِ السلولي – وكان يعالج الجراحاتِ الصعبةَ – فلما نظرَ الى جُرح أميرِ المؤمنينَ (ع) دعا بريّةِ شاةٍ حارةٍ فاستخرج منها عِرقا ، وأدخله في الجرحِ ، ونفخ فيه ، ثم استخرجه فإذا عليه بياضُ الدِّماغ .

فصِيحَ يا أُثَير كيف جُرحُ أميرِ المؤمنين ؟

فأخرِسَ وتلجلجَ ، وأطرق برأسهِ الى الأرض ، عند ذلك يئسَ الناسُ من أميرِ المؤمنينَ (ع) ، وراحوا ينشِجون نشيجاً خفياً ، مخافة أن تهيجَ النساء .

ثم قال أُثَيرٌ : يا أميرَ المؤمنينَ إعهدْ عهدك فإنَّ عدوَّ اللهِ قد وصلت ضربتُه الى أمِّ رأسِك .

قال حبيبٌ بن عمرو : أردتُ أن أرفعَ ما وقعَ في قلـــبِ أمـــيرِ المؤمنينَ (ع) فقلت : يا أميرَ المؤمنينَ لا بأسَ عليك من هذا الجُـرح فإنه غيرُ ضائرٍ ، وما هو أعظمُ من ضربةِ عمرو بنِ عبد وَد العـامري، سيدي .. إن الريحَ العاصفَ لا تزلزل الجبلَ الأصمَّ ، ولفحةَ الهجير لا تجفف البحرَ الخِضم ، والليثَ يضرى إذا خُدِش ، والصلَّ يقـــوى إذا ارتعش .

فقال أميرُ المؤمنينَ (ع) : هيهاتَ يا ابنَ عمرو .. لقد نفـــذَ القضاء ، وجرى القلمُ ، وأُبرِم القدرَ المحتوم ، وإني لمفارِقُكم .

قال الراوي : ثم انصرف الناسُ رأفةً بأميرِ المؤمنـــينَ ، فدخلـــن بناتُ الوحي ، وأحطنَ بأبيهن وَمعقدِ عزّهن وحمى أمنهن ، هذه تقبلـه وهذه تشمُه ، وهذه تقولُ ارحمْ غربَتنا .

ونادت أمُّ كلثوم : يا أبتـــــــاه .. أنـــتَ فخـــرُ الهـــاشميينَ وشمسُ الطالبيينَ ، عزّنا إذا شاهتِ الوجوهُ ذُلاّ ، وجمعُنا إذا الموكـــبُ الكثيرُ قَلاّ .

فقال (ع) : يا بنيـــه .. لو رأيتِ كما رأيتُ ، لمـــا بكيـــتِ على أبيكِ .

قالت : ما رأيتَ يا أبـــه ؟

قال (ع) : رأيتُ حبيبي رسولَ اللهِ (ص) هبـطَ الى الأرض في كتيبةٍ من الأنبياءِ ، ورعيلٍ من الملائكةِ على نُجُبٍ من نجُـــبِ الجنـــةِ

بأيديهم مجامرُ من نورٍ ، وقد أحدقوا برسولِ الله (ص) يريـــدون أن يزفوا روحَ أبيكِ الى الجنـــة .

فلما سمعت أمُّ كلثوم ذلك .. صـــاحت : وا أبتـــــاه .. وا عليـــاه .. ليتَ الموتَ أعدمنـــا الحيـــاة .

وكأني بها نادت :

اشلون اتموت وانته الموت للموت يلمحـــد عليك ابكوهه ايفـــوت
يعين احروهـــه البلضيج منعوت يغوث الينداب اوغيـــث المحلين

يليث الكون يلمحـــد يكَربـــه يســـلاب الارواح بيـــوم حربـــه
يبويه اخلاف عينك نظل غربه اومحرابك يظل موحش يبو احسين

وجاء الأصبغ بنُ نباته مع جماعةٍ من أصحابِ أميرِ المؤمنين (ع) وجلسوا على بابِ الدارِ وهم يبكون فخرَج إليـــهم الحســـن (ع) وقال لهم : يقول أميرُ المؤمنينَ (ع) : انصرفوا الى منازلِكم .

فانصرف الناسُ إلا الأصبغُ بنُ نباتةَ ، قال : يا ابنَ رسولِ اللهِ إنَّ نفسي لا تتابعني ورجلي لا تحمِلني على الانصرافِ حتى أرى ســـيدي ومولاي أميرَ المؤمنين . فاستأذِنَ له ودخل عليه .

قال الأصبغُ بنُ نباتةَ : دخلت على أميرِ المؤمنين (ع) فإذا هـــو مستندٌ معصوبُ الرأسِ بعمامةٍ صفراءَ قد نَزفَ دمهُ واصفرَّ وجهُـــه ، ما أدري وجهُه أشدّ صفرةً أم العمامة ، فأكببتُ عليه وقبلتهُ وبكيـــتُ فقال لي : لا تبكي يا أصبغ فإنها واللهِ الجنـــة .

فقلت له : جعلت فداك إني أعلم واللهِ أنك تصـــيرُ الى الجنـــة ، وإنما أبكي لفقدي إياكَ يا أميرَ المؤمنين .

ثم دعا بولديهِ الحسنِ والحسين (عليهما السلام) وفتحَ يديه وضمّهما الى صدره وعيناه تهملانِ دموعاً ، ثم أُغمي عليه ساعةً طويلةً وأفاق .

وكأني بالحوراء نادت :

يحسين خويه اشلون أبونه	هاالليله اشوفه انخطف لونه
لونكم يخوتـــي تجعدونـــه	وجرح البراسه اتعالجونـــه
وشنهو اليهيسه اتسايلونه	بهداي بـــس لا تلجمونـــه
ياخوي فدوه العمر دونه	بس كون لا تغمض اعيونه

قال محمدُ بنُ الحنفيةِ (ع) : لما كانت ليلةُ إحدى وعشرين مـــن شهر رمضانَ ، دعا ولديه الحسنَ والحســـين (عليهما السلام) وأوصاهمـــا قائلاً : أوصيكما بتقوى الله ، وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكمـــا ، ولا تأسفا على شيءٍ منها زُويَ عنكما ، وقولا بالحقّ واعملا للأجـــر ، وكونا للظالمِ خصماً وللمظلوم عوناً . أُوصيكما وجميعَ وُلْدي وأهلي ومَنْ بلغه كتابي بتقوى الله ، ونَظمِ أمركم ، وصلاحِ ذاتِ بينكـــم ، فإني سمعت جدّكما (ص) يقول : صلاحُ ذاتِ البينِ أفضلُ من عامةِ الصلاةِ والصيامِ . واللهَ اللهَ في الأيتام فـــلا تغبّـــوا أفواهَـــهم ، ولا يُضَيعوا بحضرتِكم ، واللهَ اللهَ في جيرانِكم ، فإنهم وصيةُ نبيّكم مـــازال يوصي بهم حتى ظننا أنّه سيورثهم ، واللهَ اللهَ بـــالقرآن لا يســـبقنكم

بالعملِ به غيرُكم ، واللهَ اللهَ بالصلاةِ فإنها عمودُ دينِكم ، واللهَ اللهَ في بيتِ ربِّكم لا تُخلوه ما بقيتم فإنه إن تُرِكَ لم تُناظَروا ، واللهَ اللهَ في الجهادِ بأموالِكم وأنفسِكم وألسنتِكم في سبيلِ الله ، وعليكم بالتواصلِ والتباذلِ ، وإياكم والتدابرَ والتقاطعَ ، لا تتركوا الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ فيُولى عليكم أشرارُكم ، ثم تدعون فلا يُستجاب لكم .

ثم قال : يا بني عبد المطلب .. لا ألفينكم تخوضون في دماءِ المسلمين خوضاً ، تقولون قُتِلَ أمير المؤمنين ، ألا لا تقتُلُنَّ بي إلا قاتلي انظروا إذا أنا مِتُّ من ضربتِهِ هذه فاضربوه ضربةً بضربه ، ولا يُمثَّلُ بالرجلِ فإني سمعت رسولَ اللهِ (ص) يقول : إياكم والمثلةَ ولو بالكلبِ العقور .

قال الإمام الحسنَ المجتبى (ع) : ثم تزايد ولوجُ السَّمِ في جسدِهِ الشريفِ حتى نظرنا الى قدميهِ وقد احمرّتا ، فكَبُرَ ذلك علينا وآيسنا منه ، ثم عرضنا عليه المأكولَ والمشروبَ فأبى ، ونظرنا الى شفتيه وهما تختلجان بذكرِ الله ، وجعلَ جبينُهُ يرشَحُ عرقاً وهو يمسحه .

فقلت له : يا أبتاه أراك تمسح جبينَك ؟

فقال (ع) : يا بني إني سمعت جدَّك رسولَ الله (ص) يقول : إنَّ المؤمنَ إذا نزلَ به الموتُ ودنت وفاتُه عرَقَ جبينُه وسكَنَ أنينُه .

وكأني بالحوراء نادت :

يحسين أنشدك عن ولينـــه يا خوي لا تخفـــي علينـــه
أشـــو والدي بطل ونينـــه وكلسا عرك يرشح جبينـــه
جن حالتـــه هاليـــوم زينـــه
جاوبهـــه زينب يا حزينـــه الطبره مســـمومه اوجتينـــه
والسيف نازل يم جبينـــه اخبرج خبـــر لا تظهرينـــه
احنه من ابونـــه آيســـينه تره والدي ايروح امن ادينه

ثم نادى أولادَه كلَّهم بأسمائِهم واحداً واحداً ، صغيراً وكبـــيراً وهو يقول لهم : اللهُ خليفتي عليكم ، وهو حسبي ونعـــمَ الوكيـــل ، وأوصاهم جميعاً بلزومِ الإيمانِ والأحكام .

والتفت الى ولدهِ الحسنِ (ع) وقال له : يا أبا محمد أوصيـــك بأخيك أبي عبد الله خيراً ، فأنتما مني وأنا منكما ، كأني بكما وقـــد خرجت عليكما من بعدي الفتن ، من ههنا وههنا حتى يحكمَ اللهُ وهو خيرُ الحاكمين .

صد لبنه الحسن يبجي اويوصيه ويكَله احسين اخيّك عينك اعليه
يبويه حزلم ظهرك ذخرعليـــه اوعليكم من امـــوت الفتن تكثر

ثم نظر الى ولده الحسينِ فرأه يبكي ، فمسحَ الدموعَ من عينيـــه وضمّه الى صدرِه وقال : يا أبا عبد الله أنتَ شهيدُ هـــذه الأمـــةِ ، فعليك بتقوى اللهِ والصبرِ على بلائه ، فإنه لا يومَ كيومِك يـــا أبـــا عبد الله .

يبويه احســـين يا زهـــرة زماني امنشـــوفك ينهدم حيلي ترانـــي
يبو السـجاد يومك مالـــه ثاني جرح راسي يهون اوجرحك أكبر

ثم التفتَ الى أولادهِ الذين من غيرِ فاطمةَ (ع) وأوصـــاهم أن لا يخالفوا الحسنَ والحسينَ (ع) . ودعـــا ولـــده العبـــاس (ع) وأخذ يشمّ كفيه ودموعُه تسيلُ على شيبتهِ المقدسةِ ، وهو يقـــول : أُوصيك بغريب الطفوفِ خيرا – وأشار الى الحسين (ع) – .

فبكى العباس (ع) وقال : لأَنعمنّكَ عيناً يا أميرَ المؤمنين .

عكَب ما ودّع اولادَه والعيال شبح عينه اوندّه عباس بالحال
يكلّـه والدمع بالعين همـــال أريدنك لخـــوك احسين تذخر

ثم قال لولدهِ الحسنِ (ع) : يا أبا محمد إذا أنا مت ، فغســـلني وكفني وحنطني ببقية حَنوطِ جدّكِ رسولِ الله (ص) ثم ضعني علـــى سريري ، ولا يتقدمْ أحدٌ منكم مقدّمَ السّريرِ ، واحملـــوا مؤخـــرَه ، واتبعوا مُقدّمهَ ، فأيّ موضعٍ وُضِعَ المقدمُ فضعوا المؤخرَ ، فهو موضعُ قبري . ثم تقدّمْ يا أبا محمد ، وصلّ عليّ ، وكبّر علـــيّ ســـبعاً ، واعلم أنه لا يحلّ ذلك على أحدٍ غيري إلاّ على رجلٍ يخرج آخـــرَ الزمانِ أسمهَ المهدي من ولدِ أخيك الحسينِ يُقيمُ اعوجاجَ الخلق .

ثم أُغميَ عليه وأفاقَ وقال : هذا رســـولُ الله (ص) وعمـــي الحمزةُ وأخي جعفرٌ وأصحابُ رسولِ اللهِ (ص) وكلّـــهم يقولـــون

عجّلْ قدومَك علينا فإنا إليك مشتاقون ، ثم أدارَ عينيه في أهلِ بيتـــه جميعاً وقال : أحسنَ اللهُ لكم العزاءَ ، ألا وإني منصرفٌ عنكم وراحلٌ في ليلتي هذه ، ولاحقٌ بحبيبي محمد (ص) .

استودعكم اللهَ جميعا ، حفظَكم اللهُ ، اللهُ خليفتي عليكم وكفـــى به خليفة ، ثم قال : وعليكم السلامُ يارسلَ ربي ، لمثلِ هذا فليعمـــلِ العاملون ، إنّ اللهَ مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وعَرَق جبينُـه وهو يذكرُ اللهَ كثيراً ، ثم استقبلَ القبلةَ ، وغمّضَ عينيـــه ، وأســـلَ يديه ومدّ رجليه ، وأدى الشهادتين ، ثم قضى (ع) نحبَـه صـــابراً محتسبًا شهيداً مظلوما .. أيْ وا إمـــامـــاه .. وا عليـــــاه

فصرخت زينبُ وأمُّ كلثومَ وجميعُ النساء وقد شـــققن الجيـــوبَ ولطمنَ الخدود ، وإرتفعتِ الصيحةُ في بيتِ أميرِ المؤمنين (ع) .

شبح للموت عينه اوعدل رجليه ... وولاده اوعمامـــــه داروا اعليـــــه
صاح اوداعة الله اومدد ايديـــه ... وكَضت روحه العزيزه اوغمض العين

بجت زينب اونادت يا ضمدنـــه ... ياســـور الحمـــه وعزنه وعمدنـــه
يبـــو الحسنين منتـــه الدللتنـــه ... من عكّبـــك يبويـــه اهـــدم الدين

ابعيد البلـــه ابجتلك ينادون ... اومحزنين أهل بيتك يصبحون
اويتاماك لفراكّك ينوحون ... عليك السمه والكون مرجون
اهلال الفطر لابيّن ايكـــون ... اولا بيـــه عدوانك يعيـــدون
يا حيف بيك استافوا اديون ... يوم الطحت يا نور العيـــون

فَعلم أهلُ الكوفة أنه (ع) قد فارقَ الحيـــاةَ ، فـــأقبل النســـاءُ والرجالُ يُهرَعون أفواجًا أفواجًا وصاحوا صيحةً عظيمةً : وا إمامـــاه .. واعليـــــاه .

فَارتُجتِ الكوفةُ بأهلِها ، وكَثُرَ البكاءُ والنحيـــبُ والضجيـــج ، وكان ذلك كيومِ ماتَ فيه رسولُ اللهِ (ص) ، وارتفعتِ الأصـــواتُ من كلِّ مكانٍ ، وتغيّرَ أفقُ السماءِ ، وسَمِعَ الناسُ هاتفًا يقول :

بنفسي ومالي ثم أهلي وأسرتي فداءٌ لمن أضحى قتيلَ ابنِ مُلْجَمِ

ثم قام أولادُه لتجهيزِه ليلاً ، فلما جردّوه عن ثيابـــه ، وجـــدوا على جسدِه الشريفِ آثارَ الجراحاتِ التي أصابته في الحروب ، وكان الحسنُ يغسّله ، والحسينُ يصبّ عليه الماءَ ، والملائكةُ تقلّبه ، وكـانت رائحتُه أطيبَ من رائحةِ المسك .

يجت زينب اوجلثوم اوحسن واحسين عد راس الصميده اودم تسيل العين
ذل الدين من بعـــدك يعـــز الديـــن عليه الكفر مال اوبعـــد ما هابـــه

اشحال ابنه الحسن من غمض اعيونه وام جلثـــوم من رادوا يشـــيلونه
تناديهم واهـــم كَامـــوا يغســـلونه اهنـــا يغســـله لا تلجم اصوابـــه

عكّبك لا خطت للمعركه فرســـان ولا ثارت حرايب واعتلك ميدان
اولا شـــالت روایاهـــه بني عدنـــان عزهه اليوم يا حيف الدهر نابـــه

ثم نادى الحسنُ (ع) أختَه العقيلةَ زينب قائلاً : هلمي بحنـــوط جدّي رسولِ الله (ص) ، فحنّطه وكفنّه ، ولفّــه بخمســةِ أثــواب ووضعه على السرير ، وقامَ الحسنُ (ع) وصلّى عليه وكبّر ســـبعاً كما أمره أبوه .

قال محمدُ بنُ الحنفيةِ (ع) : ولما فرَغنا من الصلاةِ عليه ، حمَــل مقدمُ النعشِ ولا يُرى حامِله ، وحَملنا المؤخرَ وخرجَ السريرُ مما يلــي بابَ كندة .

– قال الإمام الصادقُ (ع) : كان جبرئيلُ وميكائيلُ يحمــلانِ مُقدمَ السرير – .

وضَجتِ الكوفةُ بالبكاءِ والنحيب ، وخرجــنَ النســاءُ يتبعَــنَ السريرَ وهنّ لاطماتٌ صارخاتٌ باكياتٌ نادباتٌ .

وكأني بالحوراء نادت :

يعلــة كونهــه يا كنــز العلــوم وشمــس الماتضمــك كــل الغيــوم
يبــو زينــب يلمنــتــب يجيــدوم تضم شخصك الكاع اشلون هل حين

عكّب ما نعت عــد ليث العرينــه غابت روحهــه اوكّعــدت حزينــه
شــافت نعــش ابوهــه شايلينــه نــادت وين نيتكــم يماشــين

وين ابنعش ابونه اتريد بيــه ريّــض يشيالــه
مجبل على الناس العيد ليــش اتيتــم اعيالــه

لا تبعد ابحامي الجار ريّض والنعش ردّه
ما تسمع يتامه الناس تبجي اوتنحب الفكّده
ريته امن اجتل سالم اويفنه العالم ابداله

ابهيده اوي الوصي الكرار لو ردتكوّا تدفنونه
كلف جرح الذي براسه أخافتكم تلجمونه
عسن لاهلّ شهر رمضان ريته اوبيّن اهلاله

يشيّال نعش ابوي ونّه لمّنّ بناته ايودعنّه
يردن يشبعن شوف منه اوينوحن عليه اويندبنه
اويكَعدن يم وليهن ينشدنه اويلاه يبونه الراح منه

قال محمدُ بنُ الحنفية (ع) : فردهَن أخي الحسنُ ، وأمرَ الناسَ بالانصرافِ ، ولم يُبقِ إلاّ صفوتَه ، ولما انتهينا به الى الغري ، وإذا بمقدمِ السريرِ قد وُضِعَ ، فوضَعْنا مؤخرَه ، ثم زحزحنا السريرَ عن محلهِ ، وكشفنا الترابَ ، فإذا نحنُ بقبرٍ محفورٍ ولحدٍ مشقوقٍ وساجةٍ منقورةٍ مكتوبٍ عليها بخطٍ حَسَن : (هذا ما ادخّره جدّهُ نوحٌ النبيُّ للعبد الصالحِ الطاهرِ المطهرِ عليّ بنِ أبي طالب) .

فلما أنزلناه سمعنا هاتفاً يقول : (أنزلوا الجسدَ الطاهرَ الى التربةِ الطاهرةِ فلقد اشتاقَ الحبيبُ الى حبيبهِ) . وكان ذلك قبلَ طلوعِ الفجرِ ، وقد أخفينا قبرَه كما أوصانا (ع) .

ثم تقدمَ صعصعةُ بنُ صوحانَ العبدّي (رضوان الله عليه) الى القبر ، ووضع إحدى يديهِ على فؤادهِ ، وأخذ بالأخرى الترابَ يحثوه على رأسهَ ، ودموعُه كالسيلِ الجاري وهو يقول :

بابي أنتَ وأمي يا أميرَ المؤمنين ، هنيئاً لك يا أبا الحسن ، فلقدّ طابَ مولدُك ، وقويَ صبرُك ، وعَظُمَ جهادُك ، وَربحتْ تجارتُك ، وقَدِمتَ على خالقِك ، فتلقاكَ ببشارتهِ ، وحفَّتْكَ ملائكتُه ، فاستقررْتَ في جوارِ المصطفى ، وأكرمكَ اللهُ بجوارهِ ، ولَحِقتَ بدرجته ، وشَربتَ بكأسِهِ الأوفى ، فأسألُ اللهَ أن يمنَّ علينا باقتفائنا أثرَك ، والعمل بسيرتكِ ، والموالاة لأوليائِك ، والمعاداة لأعدائك ، وأن يحشرَنا في زمرتكِ ، فلقد نلتَ من الشرفِ مالم ينلْه أحدٌ ، وأدركتَ مالم يدرِكْه مُجتهدٌ ، ولقد جاهدتَ الفجّارَ والكفارَ بين يدي أخيكِ المختارِ حتى أقيمتْ بك السنَنُ ، وارتفعت بك الفتن ، واستقامَ بك الإسلام ، وانتظمَ الإيمان ، وما جمُعت لإحدٍ مناقبَك وخصالُك ، فكم قصِمَ بك من جبار عنيد ، وذلَ بك كلُّ ذي بأس شديد ، وهُدم بك حصون أهلِ الشركِ والكفر والعدوان والضلال .

فهنيئاً لك يا أميرَ المؤمنين ، كنت أقربَ الناسِ من رسولِ الله نسبًا ، وأولهمَ إسلامًا ، وأكثرَهم علمًا وفهمًا ، وأسخاهم كفاً ، وأعدَلهَم قِسَمًا ، وأعظمهَم في الخير نصيبًا ، ولو أنَّ الناسَ

قبلوا منك لأكلوا من فوقهم ، ومن تحتِ أرجلهم ، ولكنهم آثـــروا الدنيا على الآخرةِ ، فعليك مني أفضلُ الصلاةِ والســـلام ، فبكـــى وأبكى جميعَ من حضر .

ورجع الحسنانِ (عليهما السلام) ومن كان معـــهما ، ومـــروا علـــى مكانٍ خربٍ من الكوفة ، فسمعوا أنيناً ، فقفـــوا أثـــرَه وإذابرجـــلٍ أعمى قد توسدَ الـــترابَ يحِـــنُّ حنـــينَ الثكلـــى ، فوقـــف عنـــده الحسنُ والحسينُ (عليهما السلام) وسألاه عن حالـــه ، فقـــال : إني رجـــلٌ غريبٌ ، قد أعوزتني المعيشةَ ، وسكنت هذه الخربةَ ، وكلَّ ليلةٍ يأتيني شخصٌ إذا هدأت العيونُ بما أقتاتُ به من طعامٍ وشراب ، ويجلِـــس معي يؤنسني ويسليني ، وقد افتقدته منذ ثلاثةِ أيامٍ ، فقالا له وهمـــا يبكيان : صفْه لنا ؟

فقال : دأبهَ التسبيحُ ، والتقديسُ ، والتكبيرُ ، والتهليلُ .

فعرفـــا إن هذه صفاتُ أبيهمـــا (ع) .

فقالا له وهما يبكيان : هذا أميرُ المؤمنينَ ، وقد أفجعنا به أشـــقى الأشقياءِ ابنُ مُلْجَم المرادي ، وها نحن راجعون من دفنِه .

فلما سمع ذلك منهما لم يتمـــالك دون أن رمىٰ بنفســـه علـــى الأرضِ ، وجعل يضرب برأسِه كلَّ حجرٍ وشجرٍ ، ويحثو على رأســـه التراب ، ويصرخُ صُراخ الفاقدين حتى غُشي عليه ، وهـــم حولـــه

يبكون قد أشرفوا على الهلاكِ من كَثرةِ البكاء والنحيب ، فلما أفاقَ رفعَ كفيّه الى السماءِ وقال : اللهم إني أسألكَ بحقِّ أميرِ المؤمنينَ أنْ تُلحِقني به فإني لا أقدرُ على فراقِه ، ولا استطيعُ التحملَ لوجْدهِ واشتياقِه ، فاستجابَ اللهُ دعاءَه ، فخرَّ على الأرض ، وحركوه فإذا هو كالخشبة الملقاةِ ، فجهزوه ودفنوه .

قال الراوي : ولما رجعَ الحسنانِ (عليهما السلام) من دفنِ أبيهما ، ودخلا الدارَ ، فإذا بها موحشةٌ مظلمةٌ تنعى أميرَ المؤمنين (ع) ، فتعالت صرخاتُ بناتِ عليٍّ وسائرِ الهاشميات .

وكأني بالحوراء تخاطب الدار :

يادار اريد اكعد بذاريج وانشد عله احبابي ونابيج
وحشه ومظلمة وهضم عاليج وين العميد المرد راعيج
ذاك ابو حسين المزهر اعليج راح وبعد ماشوف يلفيج
ياعين والله اليوم لعميج وياروح بعد المن امخليج
عكب الصميده الموت يفنيج

- بحراني -

العيد مجبل والحزن زايد عليه اوعاينت دار المرتضه وحشه اوخليه
محله الأبو بالعيد لو جمّع أولاده ولبسهم الزينه عله جاري العاده
اورفرف عليهم بالهنه طير السعاده ايطيب الكَلب وتصير عيشتهم هنيه

وحنه ابونه كَبل عيـــده بتسعة أيـــام ســـافر اوخلانـــه يويلي بعده أيتـــام
أفراحنه راحت اوصار العيد بالشـــام باچر الناس امعيـــده واحنـــه ابعزيه

أدميت منه اعيونه يا شهر رمضـــان وكَلوبنـــه خليتهـــه تلتهـــب نيـــران
ودار الصميده موحشه ومحرابه حزنان والحسن ظل ينحب عليه واحسين أخيه

مرجونه كوفان اصبحت والكل حِزانه والكون مغبر والهضم والهم علانـــه
حيدر يحماي الحمه يومـــك دهانـــه لجلك تذوب الروح والدمعه جريـــه

ألا يا عينُ ويحـــكِ فاســـعدينا ألا فابكـــي أميـــرَ المؤمنينـــا
ومن صامَ الهجيرَ وقامَ ليـــلاً وناجـــى اللهَ رَبَّ العالمينـــا
إمامـــاً صادقـــاً بـــرّاً تقيـــاً فقيهـــاً قد حوى علماً ودينا
شجاعاً أشوســـاً بطلاً هماماً ومِقداماً لآســـادِ العرينـــا
زكياً ســـيداً قَرْمـــاً هِزَبّـــراً حَمّاً أروعـــاً بطـــلاً بطينـــا
مضى بعـــد النبيِّ فدتْهُ نفسي أبو حسنٍ وخيرُ الصالحينـــا

زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام)

المعروفة بزيارة الخضر (ع)

روى الكُلَيني (رحمه الله) في الكافي عن أُسيد بن صِفوان صاحبِ رسول اللهِ (ص) قال : لما كان اليومُ الذي قُبض فيه أميرُ المؤمنين (ع) أرتجَّ الموضعُ بالبكاءِ ، ودُهِشَ الناس ، كيوم قُبِضَ فيه النبيُّ (ص) ، وجاء رجلٌ باكياً وهو مسرعٌ مسترجعٌ ويقول :

رحِمكَ اللهُ يا أبا الحسن كنتَ أولَ القومِ إسلاماً ، وأخلصَهم إيماناً ، وأشدَّهم يقيناً ، وأخوفَهم للهِ عزَّ وجلَّ ، وأعظمهم عناءً ، وأحوطَهم على رسولِ اللهِ (ص) ، وآمنهم على أصحابِه ، وأفضلهم مناقبَ ، وأكثرهم سوابقَ ، وأرفعهم درجةً ، وأقربهم من رسول اللهِ (ص) ، وأشبههم به هدياً ونُطقاً وسمْتاً وفعلاً ، وأشرفهم منزلةً ، وأكرمهم عليه ، فجزاكَ اللهُ عن الإسلام وعن رسولِ اللهِ وعن المسلمين خيراً . قويتَ حين ضَعُفَ أصحابُه ، وبرزتَ حين استكانوا ، ونهضتَ حين وَهنوا ، ولَزمتَ منهاجَ رسولِ اللهِ (ص) إذ همّ أصحابُه ، كنت خليفتَه حقاً ، لم تُنازَع ولم تُضْرع برُغمِ المنافقينَ ، وغيظِ الكافرين ، وكُرهِ الحاسدينَ ، وضِغنِ الفاسقين ، فقمتَ بالأمرِ حين فشِلوا ، ونطقتَ حين تتَعْتَعوا ، ومضيتَ بنورِ اللهِ إذ وقَفوا ، واتبعوك فَهُدُوا ، وكنتَ أخفضَهم صوتاً ، وأعلاهم قُنوتاً ، وأقلَّهم كلاماً ، وأصوبَهم نُطقاً ، وأكبرَهم رأياً ، وأشجعَهم قلباً ، وأشدَّهم يقيناً ، وأحسنَهم عملاً ، وأعرفَهم بالأمور .

كنتَ واللهِ يعسوباً للدينِ أولاً حينَ تفرّقَ الناسُ ، وآخراً حين فشِلوا ، كنت بالمؤمنينَ أباً رحيماً إذ صاروا عليك عيالاً ، فحَمَلْتَ أثقالَ ما عنه

ضعفوا ، وحفظتَ ما أضاعوا ، ورعيتَ ما أهملوا ، وشمّرت إذ جبنوا ، وعلوتَ إذ هلعوا ، وصبرت إذ أسرعوا ، وأدركت أوتارَ ما طلبوا ، ونالوا بك ما لم يحتسبوا . كنت على الكافرين عذاباً صبا ، وللمؤمنين غيثاً وخصبا فطرتَ واللهِ بنعمائها ، وفُزتَ بحبائها ، وأحرزت سوابقها ، وذهبت بفضائلها ، لم تفلل حجتك ، ولم يزغ قلبك ، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك ، ولم تخن . كنت كالجبل الأشم لا تحركه العواصفُ ، أمنَ الناس في صحبتك وذات يدك ، وكنت كما قال (ص) قوياً في بدنك ، متواضعاً في نفسك ، عظيماً عندَ الله ، كبيراً في الأرض ، جليلاً في السماء ، لم يكن لأحدٍ فيك مهمزٌ ، ولا لقائل فيك مغمزٌ ، ولا لخلقٍ فيك مطمعٌ ، ولا لأحدٍ عندك هوادةٌ ، الضعيفُ الذليلُ عندك قوي عزيزٌ حتى تأخذَ له بحقه ، والقويّ العزيزَ ضعيفٌ ذليلٌ حتى تأخذَ منه الحق ، والقريبُ والبعيدُ عندك في ذلك سواء ، شأنك الحقّ والصدقُ ، والرفقُ ، وقولك حكمٌ وحتمٌ ، وأمرك حلمٌ وحزمٌ ، ورأيك علمٌ وعزمٌ ، فيما فعلت ، واعتدلَ بك الدينُ ، ونهجَ السبيل ، وسهلَ العسير، وأطفئت النيران ، وقوي بك الإيمان ، وثبتت بك الإسلام ، وظهر أمرُ الله ولو كره الكافرون ، وثبتَ بك المؤمنون ، وسبقت سبقاً بعيدا ، وأتعبتَ من بعدك تعباً شديدا ، فجللت عن البكاء ، وعظمت رزيتك في السماء ، وهدّت مصيبتُك الأنام ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، رضينا عن اللهِ قضاءَه ، وسلمنا لله أمره ، فواللهِ لن يصابَ المسلمون بمثلك أبداً . فألحقكَ اللهُ بنبيه ، ولا حرمنا أجرَك ، ولا أضلنا بعدك .

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

المصادر

القرآن الكريم	
مفاتيح الجنان	عبا س القمي
المنجد في اللغة والأدب	لويس معلوف
الصحاح	الجوهري
الإمام علي نبراس ومتراس	سليمان كتاني
الإمام علي صوت العدالة الإنسانية	جورج جرداق
علي من المهد الى اللحد	كاظم القزويني
مقتل سيد الأوصياء	عبد العظيم الكاظمي
مأساة أهل البيت	عبد الوهاب الكاشي
المطالب المهمة	علي بن الحسين الهاشمي
وفاة أمير المؤمنين	علي الخطي
مجلة الإيمان	النجف الأشرف
رياض المدح والرثاء	حسين علي البحراني
الروضة الدكسنية	محمد دكسن
منهل الشرع	عبد الحسين الشرع
النصاريات	محمد النصار
سلوة الذاكرين	عبد الأمير الفتلاوي

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٨١٧٥٥
التاريخ ١٠/ ٩/ ١٤٣٧

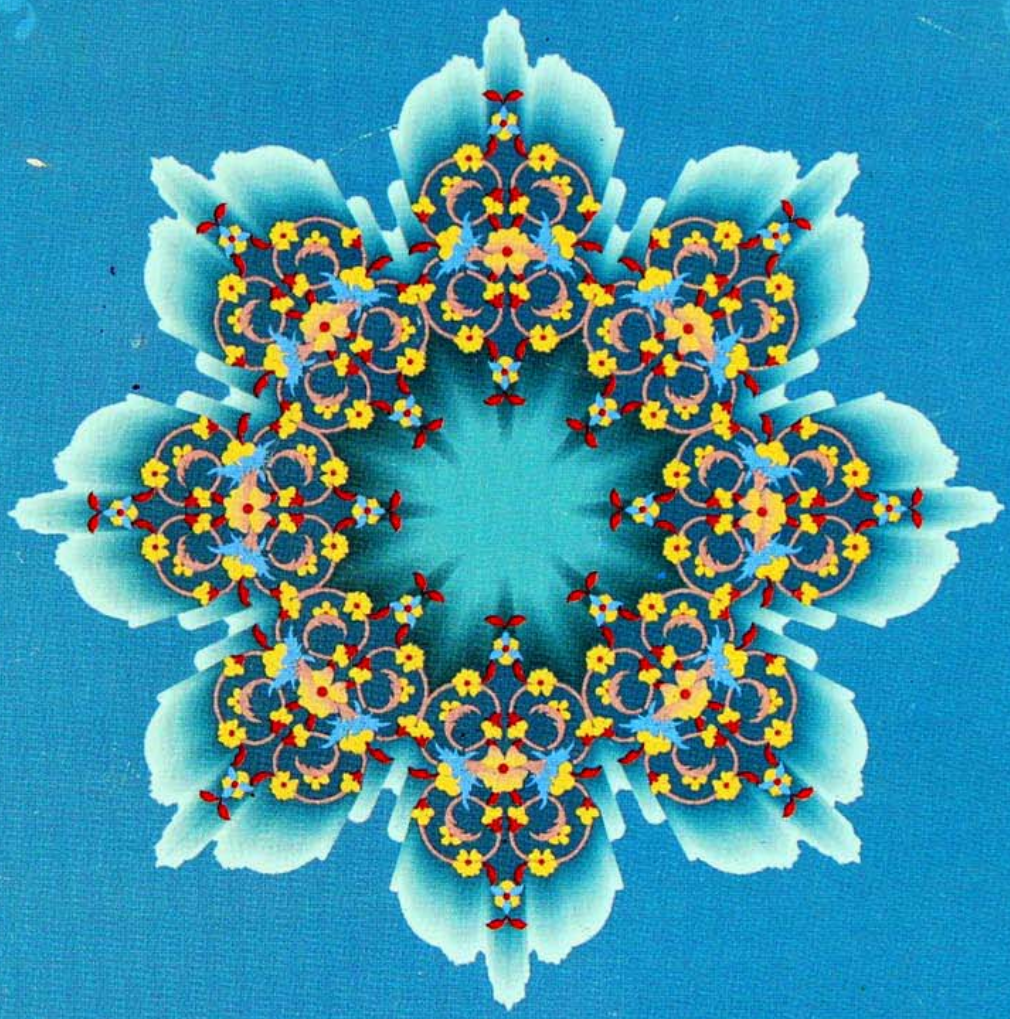

دار المرتضى
للطباعة والنشر والتوزيع